رسالة الحج

للاستاذ الشيخ على رفاعى

الحمد لله : سهل طريق السعادة للسالكين ، وأنار سبيل الهدى للعالمين ، ودعا أحبابه الأبرار لزيارة بيته المشرف ، ليحسن ضيافتهم ، ويمحو عنهم الذنوب والأوزار ، فلبوا دعوته مسرعين وفارقوا لأجل رضاه الأهل والبنين ، لبسوا من من أجله أكفانا ، وأجابوا دعوته لبيك اللهم مولانا ، مستجيرين به من خزى الدنيا وعذاب النار .

سبحانك ربى ، لسنا ندرك حقيقة عظمتك ، غير أننا نعلم أنك حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يدركك بصر ، أدركت الأبصار : وأحصيت الأعمار ، وأنت الله الواحد القهار ، تعالى الله فى علاه ، أمرنا بتعظيم شعائره وحرماته : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » لا إله إلا هو حبب إلينا الإيمان ، وغرس فى قلوبنا بغض الكفر والفسوق والعصيان ، وجعل للمسلمين كل عام مؤتمراً جامعاً ، وعين له أشرف مكان ، ليتم بين المؤمنين التآلف والتواد ، فتقوى بينهم المحبة ، وشعور بالكرامة يزداد .

أشهد أنه الإله الواحد ، شرع لنا من الأحكام ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ، ويجعل المسلمين قوة متكاتفين فى الله إخوانا ، متحدين متعاونين لا يخافون إنساناً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أفضل من قلد الهدى وأشرف من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار ، وجدد المناسك ، وجمع شمل دين الله الواحد القهار ، فصلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم مولاهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .

أما بعد : فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

عباد الله : خلق الله الخلق غنيا عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصى ، بل : « من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن اساء فعليها » . « إن

أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، . فطاعة العبد لمولاه لنفسه إحسان ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فالطائعون هم الفائزون ، والعصاة هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين :

وها قد نودى فيكم بالحج فأين المشتاق ؟ وفضائل الحج تتلى عليكم فأين أهل التوفيق والانفاق ؟ وهذه زمزم تنادى فأين أهل الظمأ والاحتراق ؟ وفى الخبر : إن الله تعالى يباهى ملائكته بأهل عرفه فهل أحد تاق ؟ وإن ربنا يتجلى لطالب الاعتاق ، هلموا يا أحبابنا إلى بابنا ولو سعياً على الأحداق ، ومن ذاق لذة وصالنا فليهن ما ذاق .

فياسعادة من وفقه مولاه لحج بيت الله ، واجتمع هناك بإخوانه المؤمنين ، الذين أتوا من جميع بقاع الأرض مهللين مكبرين خاشعين لله خاضعين ، قائلين بصوت يرقق القلوب ، ويرضى علام الغيوب : لبيك اللهم لبيك وسعديك ، والخير كله فى يديك ! .

هناك تشعر بلذة كبرى حين ترى الناس قد أفاضوا إلى بيت كسى بالبهاء والاجلال فكبروا عند رؤيته الكبير المتعال . طافوا بالبيت العتيق واستداروا ، وضجت منهم الأصوات بالدعوات كلما داروا ، ولاذوا بمولاهم من النار واستجاروا ، وهو الذى يجير ولا يجار .

هنالك فى الأماكن الطاهرة هنالك فى البقاع المقدسة ، هنالك عند بيت الله قف خاشعا خاضعا ذليلا ، وقل قولة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

هنالك تشعر بعظمة الاسلام وبعزة الايمان ، وبالتساوى بين المسلمين ، فترى الغنى والفقير ، والأمير والحقير ، الكل سواء لافضل لأحد على أحد ، ولا سلطان لأحد على أحد ، وترى التعاطف والتراحم ، والتعاون والتعارف ، فهذا سورى ، وآخر مصرى ، وثالث هندى ، ورابع جاوى ، وغيره تركى . . فالحج إخوانى مؤتمر عام ، أمر الله رسوله أن يدعوا المسلمين إليه ليتشاوروا ويتعاونوا ، ويشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من الايمان .

ألا يحق للمسلمين أن يفخروا بأن أول من نشر فكرة المؤتمرات نبيهم الكريم بامر من الله ؟ وألا يحق لنا أن نقول لأولئك الذين يذهبون إلى اوروبا كل عام ، وينفقون اموالهم فيما يغضب رب العالمين : هل لكم فى رياضة بدنية ودينية جزاؤها عند ربكم تكفير خطاياكم الكثيرة ، وغفران ذنوبكم المتراكمة !

واعلموا يا عباد الله أن الحج المبرور ، وهو الذى لا رفث فيه ولا فسوق ، ليس له جزاء إلا الجنة ، ففى الحديث عن البشير النذير صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

فبادروا عباد الله إلى تأدية فريضة الحج ما استطعتم لذلك سبيلا ، ولا تؤخروا مع القدرة فيأخذكم أخذاً وبيلا ، ولا يغرنكم الشيطان بالتأخير ، فإنكم لا تدرون متى يكون المصير . ففى الحديث يقول النبى النذير : من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو سلطان جائر ، فلم يحج ، فليمت إن شاء يهوديا ، وإن شاء نصرانيا » .

فيا سعادة من لبى نداء ربه وسار إلى البلاد الحجازية ، وهناك طاف بالكعبة المشرفة البهية ، ولما قضى فرض الطواف بالتمام قصد فصلى خلف المقام ، ثم عاد إلى الحجر للاستلام ، اقتداء بما فعله المصطفى وصحبه الأخيار . فسابق أخى إلى الخيرات ، وبعد الحج زر قبر محمد نبينا وشفيعنا يوم الزحام ، وقف هناك بأدب وخشوع واحتشام ، وقل بصوت حزين : قم يا محمد وانظر ما فعلت أمة الإسلام . هناك قف فى كمال وخشوع وقل يا محمد وانظر ما فعلت أمة الإسلام . هناك قف فى كمال وخشوع وقل يا محمد كثر فى أمتك الملق والنفاق ، وقل الحياء ، وانحطت الأخلاق . فالزنا يفعلون ، والخمر يشربون ، والحرام يأكلون ، وقد أباحوا لنسائهم الأحمر والأصفر والخروج متبرجات ، وزين الشيطان لشباب أمتك معاكسة النساء فى الطرقات ، وما هكذا كان حال المسلمين ! سألتك بالله يا من ستحج هذا العام ، إن زرت قبر حبيبى وشفيعنا محمد عليه الصلاة والسلام فاقرئه منا السلام ، واضرع هناك إلى الله وادعوه أن يضم شمل المسلمين ، وأن يقوى شوكة الدين ، ويرزقنا شفاعة المصطفى ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الحديث .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيومَ وَلَدَتْهُ أمه » .